جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

الآيات البينات في عالم الزروع والنبات

"دراسة موضوعية"

إعداد

د. محمد عبد الله محمد سرحان

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
I.S.S.N 2974-4660 و The Online ISSN 2974-4679

الآيات البينات في عالم الزروع والنبات "دراسة موضوعية"

محمد عبد الله محمد سرحان
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: Mohamed. sarhan9008@gmail. com

الملخص: -

فإن الأرض بما فيها من كنوز وخيرات من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى، وهي مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته، لذا فإن من عجائب قدرته سبحانه وتعالى إنبات النبات بإنزال المطر وحراثة الأرض، وبذر الحب، ويُعد تنوع المزروعات من خلال عملية التحسين والتهجين وهذا البحث في التفسير الموضوعي لآيات الزرع والنبات في القرآن الكريم. ومن خلال تتبعي لآيات الذكر الحكيم المتعلقة بالزروع والنباتات تبيَّن لي حقائق مهمة جدا وكنوز لا غنى عنها في نهوض الأمم واعتبارهما وسائل ذات قيمة مميزة في نماء المدخولات الاقتصادية وتطويرها وتحسينها. وقد جاءت الدراسة في هذا البحث لتُركز على الآيات القرآنية المتعلقة بالزرع والنبات من خلال دراستها دراسة موضوعية متأنية متعمقة تحت عنوان: الآيات البينات في عالم الزروع والنبات "دراسة موضوعية". ويتكون هذا البحث من مقدمة وخمسة فصول، وخاتمة. أما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، وإشكالية البحث، وحدود البحث. وأما الفصل الأول: فهو بعنوان: التعريف بالنبات والزرع. وأما الفصل الثاني فهو بعنوان: القرآن وعنايته بالنبات. وأما الفصل الثالث فهو بعنوان: خلق النبات. وأما الفصل الرابع فهو بعنوان: عجائب الحياة في النبات. وأما الفصل الخامس فهو بعنوان: أقسام الزرع بحسب المكان والزمان. وأما الخاتمة: فقد ضمنتها أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة، ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

الكلمات الافتتاحية: – الآيات، البينات، عالم الزروع، النبات، "دراسة موضوعية"

Clear verses in the World of crops and plants: An Objective Study

Mohammed Abdullah Mohammed Sarhan
Department of interpletation and Qur، anic Sciences Faculty of Fundamentais of Religion and Da، wah in Menoufia Al-Azhar University Egypt
Email: Mohamed. Sarhan9008@gmail. com

Abstract: -

The earth، with its treasures and bounties، is one of the greatest blessings of God Almighty، and it is a anifestation of God Almighty's power and greatness. Thus، one of the wonders of His Almighty power is the growth of plants by sending down rain، plowing the land، and sowing seeds. The diversity of crops is achieved through the process of improvement and hybridization. This research examines the objective interpretation of the verses of the Holy Quran about crops and plants. Through my study of the verses of the Holy Quran related to crops and plants، I discovered very important facts and indispensable treasures for the advancement of nations، considering them as valuable means for growing، developing، and improving economic incomes. The study in this research came to focus on the Qur'anic verses related to crops and plants through studying them in a careful، in-depth، objective study under the title: Clear verses in the world of crops and plants "an objective study. This research consists of an introduction Fife chapters and a conclusion. The introduction explains the importance of the topicThe reasons for choosing it the research plan the research problem and the limits of the research. Chapter One: Definition of plants and Crops. Chapter Tow: The Quran and its Concern four plants. Chapter three: The Creation of plants. Chapter Four: Aspects of life in plants. Chapter Five: Types of crops According to place and Time. The onclusion includes the most important Lessons learned from the Holy Surah.

Keywords: Verses، Clear، the world of crops، plants، "an objective study.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا، والصلاة والسلام على من أرسله ربه داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ورضي الله عن الآل والأصحاب والأتباع حملة لواء الحق بين العالمين إلى يوم البعث والنشور.

وبعد:

فقد جعل الله سبحانه وتعالى كتابه معجزة رسوله العظمى، والحجة الدائمة على الخلق، ونبراسًا للدعاة إلى يوم الدين، يستمدون من نبعه الهدايات، ويقتبسون من نوره مشاعل الحضارة، ويجدون في ثناياه البراهين السواطع كلما تراكمت ظلال الشبهات، وفي إرشاداته برد اليقين كلما حاكت الوساوس في الصدور.

والله عز وجل له في خلقه آيات بينات تدل على وجوده وتشهد بوحدانيته وتقر بصمديته، فمن تأمل في الكون من حوله، وأدار بصره في خلق ربه – عز وجل – وأطلق فكره في كل من رأت عيناه من صنع الله تعالى وأن لهذا الخلق صانعًا حكيمًا فهذه السماوات المرفوعة وهذه الأرض الممدودة وتلك الجبال الرواسي وتلك الأنهار الجواري والسحاب المسخر بين السماء والأرض ونزول الماء من السماء وإحياء الرض بعد موتها واختلاف الأشجار والثمار والزرع ونبات كل شيء وفي كل ما خلق الله – عز وجل– دلالات بينة وبراهين واضحة على أنه سبحانه وتعالى الخالق الحكيم والمدبر الخبير في كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

ومما يلمسه كل متدبر لآيات القرآن الكريم، وفاؤه لحاجات البشر في مختلف عصورهم، وتلوين الفهوم لآياته وتنويع الاستنباطات من دلالاته، وبخاصة في الآيات التي تتحدث عن الكون والحياة والإنسان والنبات.

والله عز وجل خلق الأرض وقدَّر فيها أقواتها ومهَّدا للحرث وسهَّلها للزرع، وأنبت فيها من كل زوج بهيج، والنبي – صلى الله عليه وسلم – رغَّب في الزرع وجعله أنفع وسائل القربى إلى الله تعالى عند قيام الساعة فقال: إِنْ قَامَتِ السَّاعةُ وفى يَدِ أَحَدِكمْ فَسيلَة فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا"[1]

فإن الأرض بما فيها من كنوز وخيرات من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى، وهي مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته، لذا فإن من عجائب قدرته سبحانه وتعالى إنبات النبات بإنزال المطر وحراثة الأرض، وبذر الحب، ويُعد تنوع المزروعات من خلال عملية التحسين والتهجين، وسرعة نمائها، ووفرة محصولها يدلل على المحاولات الجادة للإنسان لاكتشاف سنن الله عز وجل في هذا الكون مما يجعل الزرع والنبات في صُلب اهتمام العقل الإنساني في هذا العصر.

ومن خلال تتبعي لآيات الذكر الحكيم المتعلقة بالزروع والنباتات تبيَّن لي حقائق مهمة جدا وكنوز لا غنى عنها في نهوض الأمم واعتبارهما وسائل ذات قيمة مميزة في نماء المدخولات الاقتصادية وتطويرها وتحسينها.

وقد جاءت الدراسة في هذا البحث لتُركز على الآيات القرآنية المتعلقة بالزرع والنبات من خلال دراستها دراسة موضوعية متأنية متعمقة تحت عنوان: الآيات البينات في عالم الزروع والنبات "دراسة موضوعية"

وقد جعلته في مقدمة وأربع فصول وخاتمة وبينت في المقدمة خطة البحث على النحو الآتي:

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣، ص ١٨٤.

أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب لاختياري لهذا الموضوع:

١- يُعدُّ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم شغل العلماء في هذا العصر، وهو موضوع يتشوق الإنسان إلى معرفته وتتوق إليه نفس المؤمن، فاستخرت الله عز وجل، ثم رأيت أنه من المناسب أن أكتب بحثا مستقلا في عالم الزروع والنبات

٢- أحببت أن أبين الإعجاز العلمي من خلال الآيات الواردة في النباتات

٣- أن هذا الموضوع معاصر يحاكي الواقع والعلم، ويلبي رغبة الناس في الاطلاع عليه أكثر من غيره من المواضيع.

٤- كل هذه الأسباب وغيرها دفعتني للكتابة في هذا الموضوع.

أهمية البحث

١- الاطلاع على الآيات القرآنية المتعلقة بالزروع والنبات ذات المضمون العلمي، والتي تشير إلى الإعجاز العلمي فيها.

٢- دراسة الموضوع جاءت خدمة لكتاب الله تعالى، فهي دراسة قرآنية، والقرآن الكريم هو المصدر الأساس والرئيس فيها.

٣- حاجة المكتبة الإسلامية عامة، والدراسات القرآنية خاصة إلى مثل هذا النوع من الدراسة الذي يجمع بين الدراسة الموضوعية لآيات القرآن الكريم وبين القضايا العلمية المعاصرة للزرع والنبات.

حدود البحث

حدُّ هذا البحث منصبٌ على البحث في الآيات القرآنية المتعلقة بالنباتات، والتي توصل العلم الحديث إلى اكتشاف ما فيها من حقائق علمية تُثبت الإعجاز العلمي فيها، والكشف عن سر كنوزها وفوائدها،

أهداف البحث

١- الوقوف على النصوص المتعلقة بالنبات، في ضوء بيانها وشرحها، والكشف عما توصل إليه العلم في الكشف عن أسرارها.

٢- تسليط الضوء على وجه الإعجاز العلمي في النص، من خلال ربط النصِّ بالتفسيرات العلمية.

٣- لفت الأنظار إلى آيات الزرع والنبات في القرآن الكريم، وكيفية عرض القرآن لها بأساليبه المختلفة، ومشاهده المتنوعة، مما أضفى على هذه الآيات البروز والظهور.

٤- بيان فضل استغلال الأرض بالحرث والزراعة، وجعله أحد أهم ركائز مدخولات الأمة، وجزءًا مهمًا في النهضة الاقتصادية.

إشكاليات البحث

ترد مجموعة من التساؤلات حول هذا البحث تحتاج إلى أجوبة منها:

١- ما الآيات القرآنية التي تتحدث عن النبات وما الذي توصَّل العلم إلى تحقيقه منها.

٢- ما الإشارات العلمية الواردة في النصوص التي توصل إليها العلم الحديث، وما وجه الإعجاز العلمي فيها.

٣- ما مدى اهتمام القرآن بالزرع والنبات وما المساحة التي حازت عليها هذه الآيات.

٤- ما الحِكم والفوائد المستفادة من عرض القرآن لموضوع الزرع والنبات

الدراسات السابقة

بعد البحث والتدقيق بما تيسر من مراجع، تبين لي أن هذا الموضوع لم يتم دراسته دراسة موضوعية شاملة لذاتها، وإنما وجدت بعض الإشارات إلى ما يشبه هذا الموضوع في بعض الكتب والمراجع، ومواقع الانترنت، ومن ذلك:

١- إعجاز النبات في السنة النبوية الشريفة، للدكتور محمد السيد أرناؤوط، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة

٢- عالم النبات في حياة الرسول _ صلى الله عليه وسلم_، عبد المنعم فهيم الهادي، دار الفكر العربي، القاهرة.
٣- كتاب فضل الزراعة والعمل في الأرض: د عبد الغني أحمد جبر التميمي.
٤- كتاب النخلة: أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، ت ٢٥٠هـ.
٥- إعجاز النبات في السنة النبوية الشريفة للدكتور محمد السيد ارناؤوط، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة

وقد تمثَل دوري كباحث في جمع المادة العلمية القرآنية من أمهات كتب التفسير، ومعاجم اللغة، وبعض الكتب والدراسات المتعلقة بالزراعة، ثم عرضها بأسلوب البحث العلمي الدقيق وفق منهجية التفسير الموضوعي.

منهج البحث

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج النقلي (الوصفي) الذي يقوم على جمع الآيات القرآنية في عالم الزروع والنبات، بالإضافة إلى المنهج الاستنباطي الذي يقوم على استنباط الإشارات العلمية الواردة في النصوص للوصول إلى الإعجاز العلمي فيها.

واتبعت في كتابته الخطوات التالية:

١- قمت بإعداد دراسة موضوعية متعلقة بالآيات التي تتحدث عن النبات وتفسيرها من أمهات الكتب.
٢- بيان أوجه الإعجاز والدلالات العلمية في الآية من خلال التفسير العلمي للنص.
٣- بيان الفوائد العلمية والغذائية للنبات مع ذكر الدراسات العلمية التي جرت عليه، وتوثيقها من مصادرها الأصلية ما أمكن.
٤- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في السور القرآنية.
٥- قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن كذلك

عزوته إلى مصادره مع بيان درجته، من الصحة او الحسن أو الضعف معتمدا في ذلك على أقوال العلماء الأجلاء من المتقدمين والمعاصرين في الحكم عليه.

٦- الرجوع إلى المصادر الرئيسة المعتمدة في هذا الموضوع وفي مقدمتها كتب التفسير القديمة منها والحديثة، وبعض الدراسات التي لها علاقة بالزرع والنبات.

٧- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي، لتخرج الدراسة بصورة جيدة سهلة المنال.

٨- وثقت النصوص المنقولة توثيقا علميا دقيقا من مصادرها الأصلية بذكر الجزء والصفحة.

٩- التزمت في الكتابة بقواعد الإملاء الحديثة، إلا ما كان من آيات قرآنية فأثبته حسب رسم المصحف.

١٠-قمت بإعداد فهرس للمراجع، وفهرس للموضوعات.

١١-إثبات أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في خاتمة البحث.

خطـــــة البحـــــث

اقتضت طبيعة البحث أن أقسِّمه إلى مقدمة، وخمسةِ فصول، وخاتمة.

أما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، وإشكالية البحث، وحدود البحث.

وأما الفصل الأول: فهو بعنوان: التعريف بالنبات والزرع، ويشتمل على مبحثين: المبحث الأول: النبات في اللغة والاصطلاح، والمبحث الثاني: معنى الزرع.

وأما الفصل الثاني فهو بعنوان: القرآن وعنايته بالنبات، ويشتمل على مبحثين: المبحث الأول: القرآن وعنايته بالنبات، والمبحث الثاني: بدائع القدرة الإلهية في خلق النبات.

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان: خلق النبات، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: كيفية خلق النبات، والمبحث الثاني: الاهتمام بالزراعة وبيان أهميتها في الحياة

وأما الفصل الرابع فهو بعنوان: عجائب الحياة في النبات، ويشتمل على مبحثين: المبحث الأول: تنفس النبات، والمبحث الثاني: إنبات النبات، والمبحث الثالث: زوجية النبات.

وأما الفصل الخامس فهو بعنوان: أقسام الزرع بحسب المكان والزمان ويشتمل على أربعة مباحث: المبحث الأول: الزراعة الموسمية وغير الموسمية، والمبحث الثاني: الأرض الخصبة والأرض الميتة، والمبحث الثالث: إظهار قدرة الله تعالى وحكمته في الزرع والنبات، والمبحث الرابع: الاهتمام بالنبات وبيان أهميته في الحياة.

وأما الخاتمة: فقد ضمنتها أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

الفصل الأول: التعريف بالنبات والزرع

المبحث الأول: النبات في اللغة والاصطلاح

أولًا: النبات في اللغة: نبت: النون والباء والتاء أصل واحد يدلّ على نماءٍ في مزروع، فالنَّبت معروفٌ، يقال نَبَت. وأنْبَتَتِ الأرض. ونَبَّتُّ الشَّجر: غَرستُه.. ونبَتَتْ لبني فلانٍ نابتةٌ، إذا نشَأ لهم نَشْءٌ صِغار من الوَلَد. والنَّبيت: حيٌّ من اليمن. وما أحسَنَ نِبتةَ هذا الشَّجر. وهو في مَنبِتِ صدقٍ، أي أصلٍ كريم.

وكلُّ ما أَنْبَتَ الله في الأَرض فهو نَبْتٌ والنَّباتُ فِعْلُه، ويَجري مجْرى اسمِه، يقال: أَنْبَتَ اللهُ النَّبات إِنْباتاً ونحو ذلك [(١)].

والنبات في الأصل: ما يخرج من الأرض على صفة النمو. والمنبت: الأصل.

ثانيًا: النبات في الاصطلاح:

النبات: اسمٌ شامل لكل ما تُنبتُه الأرضُ من شجر أو نجم[(٢)].

أو هو: ما يخرج من الأرض من الناميات، سواء أكان له ساق أم لا، كالنجم، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له، بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان ومتى اعتبرت الحقائق، فإنه يستعمل في كل نام نباتا كان أو حيوانا أو إنسانا[(٣)].

وجاء النبات في القرآن على أربعة أوجه: –

أحدها: النبات بعينه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] (وقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨]

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٧٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٦٨)

(٢) ينظر: التعريفات الفقهية (ص: ٢٢٥)

(٣) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (٣/ ٣٩٥)

والثاني: الإخراج: ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ [البقرة: ٢٦١].

والثالث: الخلق. ومنه قوله تعالى في سورة نوح: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧].

والرابع: التربية. ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ [آل عمران: ٣٧][١]

وأصله مصدر من نبت البقل وغيره، بفتح النون والموحدة والفوقية كنصر، مثل «النبت)، ثم استعملوها في الشيء النابت[٢]

المبحث الثاني: معنى الزرع

جاء في مختار الصحاح: [زرع]: الزَّرْعُ واحد الزُّرُوع وموضعه مَزْرَعَةٌ و مُزْدَرَعٌ و الزَّرْعُ أيضا طرح البذر والزرع أيضا الإنبات يقال زَرَعَهُ الله أي أنبته ومنه قوله تعالى ﴿ أَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤] وبابهما قطع و ازْدَرَعَ فلان أي احترث و المُزَارَعَةُ معروفة[٣]

و الزَرْعُ: واحد الزُروعِ، وموضعُهُ مَزْرَعَةٌ ومُزْدَرَعٌ. والزَرْعُ أيضاً: طرحُ البذر في الارض. والزرع أيضا: الإنباتُ. يقال: زَرَعهُ الله، أي أنبته. ومنه قوله تعالى: ﴿أَءَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾. [٤]

وقد يأتي الحرث بمعنى الزرع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، أي يهلك الزرع والحيوان، وفيهما جماع حاجات بني الإنسان، فما من أمر يحتاج إليه

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ٥٨٢)
(٢) ينظر: شرح كفاية المتحفظ تحرير الرواية في تقرير الكفاية (ص: ٤٧٨)
(٣) ينظر: مختار الصحاح لمحمد الرازي (ص: ٢٨٠)
(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٢٢٤)

الإنسان في مقومات جسمه إلا كان من الحيوان أو من النبات، وهلاكهما كناية عن الخراب العام، والضيق الشديد، والفساد المستحكم، وضياع المصالح.

والحرث: مصدر حرث يحرث؛ بمعنى أثار الأرض لإعدادها للزراع ثم أطلق وأريد به المحروث وهو الأرض نفسها، ثم أطلق وأريد به ثمرات الحرث وهو الزرع الذي حان حصاده، [١]. وأكثرُ المُفَسِّرين على أن المراد بالحرث: الزرع والنبات[٢]

وورد ذكر النباتات وإنباتها وإخراجها من الأرض وإثمارها، في كثير من آيات القرآن الكريم، وخصوصاً الآيات المكية.

وهذا لم يكن لمجرد تعداد نعم الله فحسب، إنما جاء في آيات ترتبط بعملية الخلق والإحياء والبعث والنشور، وفي آيات تحض الناس على التبصر والتأمل، والتعقل والتدبر، وفي آيات تبطل ما ينكره الكافرون من قدرة الله على الإحياء وخلق الحي من الميت، وبعث الناس من قبورهم بعد موتهم وهلاكهم".

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال الماتريدي قوله تعالى: ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي: ميتة. ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ أي: تحركت نباتُها وتزينت وصارت حية. وقوله: ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: تربو ويزيد ما عليها من النبات. قَالَ الْقُتَبِيُّ: اهتزت بالنبات، ربت: علت وانتفخت. وقال أَبُو عَوْسَجَةَ: اهتزت أي: فُرجت، وربت: من الزيادة. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى). هو ما ذكرنا: أن الذي ملك وقدر على إحيائها لقادر على إحياء الموتى بعد موتهم. ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: لا يعجزه شيء[٣].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير (٢/ ٦٤١)

(٢) ينظر: التفسير البسيط (٤/ ٧٧)

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٩/ ٨٥)

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١].

فالله -عز وجل- هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما -ومن ذلك النباتات- بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وأنه وحده المتصرف المدبر لهما، ويستدل بهما على بيان كمال قدرة الخالق -عز وجل-.

فلو اجتمعت البشرية جميعا على صناعة شجرة واحدة من العدم لما استطاعت، بل غصنا واحدا، بل ورقة واحدة، بل بذرة واحدة.

وفي هذا دلالة على معجزة النبات، والمعجزة: هي فعل خارق للعادة – تدل بنفسها على ثبوت الصانع، كسائر الحوادث[١]أو: أمر خارق للعادة يجري على أيديَ الأنبياء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة [٢].

الفصل الثانى: القرآن وعنايته بالنبات

المبحث الأول:

القرآن وعنايته بالنبات

أولًا: معجزة النبات تحدث القرآن الكريم عنها كثيرا، وتحدث عن خلق النبات والأشجار والفواكه والحشائش والزروع بشكل يكشف بوضوح الإعجاز العلمي للنبات في القرآن، وأنه لا يقدر على ذلك إلا الله الخالق الذي خلق فسوى وقدَّر فهدى، فقد كان ابتلاء آدم

(١) ينظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: ١٣٣)

(٢) ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٧٠)

عليه السلام وامتحانه كان بالنبات، حيث كان مأمورا بأن يأكل من كل ما في الجنة ما عدا شجرة واحدة نهاه الله عز وجل من الأكل منها قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وفيه دليل على أهمية النبات في القرآن الكريم. قال ابن كثير _ رحمه الله_: فهو اختبار من الله تعالى وامتحان لآدم(١)

ثانيا: النبات إنما ينشأ من تراب وماء، والله هو الذي أوجد الماء، وأنزله من السماء بنظام وقدر موزون، وقد تكرر ذكر الماء كثيرا في القرآن الكريم في صدد الحياة والإنبات قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

– ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٩].

– ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

– ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى، كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى، مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير (٢/ ١٢٤)

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠].

- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ، فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٨] قال الهرري: ونزل من السماء ماء بقدر الحاجة، يكفي زرع النبات وسقي الحيوان، وخلق أصناف المخلوقات، من حيوان ونبات[(١)]، ويزيد المعنى وضوحًا الإمام الزحيلي حيث قال: **قوله تعالى:** ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي وأنزلنا من السحاب مطرا بقدر الحاجة والكفاية للشرب والسقي، لا كثيرا يفسد الأرض والعمران، ولا قليلا لا يكفي الزرع والثمار، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرا لزرعها، ولا تحتمل تربتها إنزال المطر عليها، يساق الماء إليها من بلاد أخرى، كأرض مصر التي يقال لها: الأرض الجرز، يأتي حاملا معه الطين الأحمر «الغرين» من بلاد الحبشة، فيستقر الطين فيها للزراعة فيه، فتغطي الرمال به، وهي ما يغلب في تلك الأرض.

وجعلنا الماء إذا نزل من السحاب يستقر في الأرض، وجعلنا في الأرض قابلية له، فيتغذى به ما فيها من الحب والنوى، ومنه تنبع الأنهار والآبار.

﴿وَإِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ﴾ أي ولو شئنا إزالته وتصريفه عنكم وتغويره لفعلنا، كما أنا قادرون على إنزاله. وكذلك لو شئنا لجعلناه ملحا أجاجا لا ينتفع به في الشرب والسقي،

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٦/ ١٨٧)

ولو شئنا ألا يمطر السحاب لفعلنا، ولو شئنا أن يبقى على سطح الأرض لفعلنا، ولكن لرحمتنا ولطفنا بكم أسكناه في الأرض بمثابة خزانات، لتأخذوا منه عند الحاجة، وتسقوا به زرعكم وثماركم وأنفسكم ودوابكم، وتنتفعوا به بسائر وجوه الانتفاع من غسل وتطهر وتنظيف وتبرد ونحو ذلك.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ أي فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء جنات أي بساتين وحدائق ذات بهجة أي ذات منظر حسن، وفيها النخيل والأعناب، وهذا أغلب فواكه العرب.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي لكم في الجنات فواكه متنوعة كثيرة، من جميع الثمار، عدا النخيل والأعناب، وتأكلون من ثمار الجنات وتنتفعون بها، وترزقون وتتعيشون(١)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]. فالله _ عز وجل _ يرسل الرياح مبشرات برحمته، والرياح تهبّ حاملة للسحاب وفق النواميس الكونية، ويصرفها عمن يشاء من عباده، فإذا أنزل الماء منها على بلد ميت أحياها بأمره جل جلاله، وأخرج الله به من كل الثمرات رزقا لكم، ومتاعا إلى حين.

ودور الماء الظاهر في إنبات كل شئ دور واضح يعلمه البدائي والمتحضر، ويعرفه الجاهل والعالم.. ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب به القرآن الناس عامة، فقد شارك الماء ابتداء – بتقدير الله – في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للإنبات، إذا صحت النظريات التي تفترض أن سطح الأرض كان في فترة ملتهبا، ثم صلبا لا توجد فيه التربة التي تنبت الزرع، ثم يتعاون الماء والعوامل الجوية على تحويلها إلى تربة لينة، ثم ظل الماء يشارك في إخصاب هذه التربة،

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٨/ ٢٦)

وذلك بإسقاط "النتروجين – الأزوت" من الجو كلما أبرق فاستخلصت الشرارة الكهربائية التي تقع في الجو النتروجين الصالح للذوبان في الماء، ويسقط مع المطر؛ ليعيد الخصوبة إلى الأرض(١)

ثالثا: أنعم الله _ عز وجل _ على الإنسان بنعمة النبات ودعاهم إلى شكره بالعبادة، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]يقول الطبري في تأويل قوله: الذي جعل لكم الارض فراشا مردود على الذي الأولى في قوله: اعبدوا ربكم الذي خلقكم وهما جميعا من نعت ربكم، فكأنه قال: اعبدوا ربكم خالقكم، والخالق الذي من قبلكم، الجاعل لكم الارض فراشا. يعني بذلك أنه جعل لكم الارض مهادا وموطئا وقرارا يستقر عليها. يذكر ربنا جل ذكره _بذلك من قيله_ زيادة نعمه عندهم وآلائه لديهم، ليذكروا أياديه عندهم فينيبوا إلى طاعته، تعطفا منه بذلك عليهم، ورأفة منه بهم، ورحمة لهم، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم، ولكن ليتم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون(٢).

رابعا: النباتات متاع وطعام للإنسان والحيوان، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي: اليابسة المعدومة النبات. والمعنى: ألم يستدلوا على قدرتنا بسوقنا المطر إلى الأرض التي لا نبات فيها (٣)

(١) ينظر: مملكة النبات كما يعرضها القرآن ويصفها (ص: ١١١)
(٢) ينظر: جامع البيان لأبي جعفر الطبري (٢/ ٤٢٠)
(٣) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن (٥/ ٣٣٢)

وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٣١، ٣٢] أى: وأنبتنا في الأرض بقدرتنا وفضلنا فاكِهَةً وَأَبًّا... والفاكهة: اسم للثمار التي يتناولها الإنسان على سبيل التفكه والتلذذ، مثل الرطب والعنب والتفاح، والأبُّ: اسم للكلأ الذي ترعاه الأنعام، مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ، أى: أنبت لكم تلك الزروع والثمار... لتكون موضع انتفاع لكم ولأنعامكم إلى حين من الزمان(١).

خامسًا: مشاهدة النباتات الخضراء فيها دلالة على السعة والخير، قال تعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف: ٤٣] أي: سنبلات خضر وأخر يابسات لا خضرة فيهن، فالسنوات السبع التي فيها الخير والسعة والبركة شُبهت بسبع سنبلات خضر لما فيها من الخير والبركة.

سادسًا: النباتات مصدر للطاقة، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠] قال الزحيلي: قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً، فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ أي: وهو الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء، حتى صار خضرا نضرا ذا ثمر يانع، ثم أعاده إلى أن صار حطبا يابسا توقد به النار، ومن قدر على ذلك، فهو قادر على ما يريد، لا يمنعه شيء، فهذا التحوّل والتقلّب من عنصر الرطوبة إلى عنصر الحرارة، يدل على إمكان إعادة الرطوبة إلى ما كان يابسا باليا. والمشاهد أن شجر السّنط يوقد به النار وهو أخضر. (٢).

سابعا: زراعة النبات لها أجر كبير وثواب عظيم، والنبي _ صلى الله عليه وسلم _ حثَّ على ذلك، روى البخاري بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٢٩٢)
(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٣/ ٥٦)

أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ، وفي رواية لمسلم: (ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق له منه صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة) [1] قوله: ولا يرزؤه) أي لا ينقصه ويأخذ منه

وحض الإسلام على زراعة وغرس النبات إلى آخر لحظة في حياة الإنسان وحياة الخليقة كلها، قال النبي – صلى الله عليه وسلم– " إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ "[2]، والفسيلة: النخلة الصغيرة.

قال أبو زهرة: وإنما جهَّل الله تعالى العلم بالساعة لكي يُقدِم الناس على أعمالهم جاهدين مثمرين مستغلين الأرض مخرجين خيراتها، ولو علموا زمانها، لقلت همتهم، وضعفت عن الإنتاج والإثمار عزيمتهم، والإسلام لَا يريد أن يفتُروا في أعمال الحياة والعبادة وإن يتموا أعمالهم، ولا يبطلوها[3]

(١) أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس (١٠٣/٣) وأخرجه مسلم في المساقاة باب فضل الغرس والزرع رقم ١٥٥٣

(٢)رَوَاهُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ وَكِيعٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ حَمَّاد إِسْنَاده صَحِيح، ينظر: الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(٢٦٣/٧) المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)
دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

(٣) ينظر: زهرة التفاسير (٦/ ٣٠٢٥)

المبحث الثاني: بدائع القدرة الإلهية في خلق النبات

النبات في عالمنا الفسيح لسان من ألسنة التقديس والتسبيح للخالق جل جلاله، وهو من جملة بدائع القدرة الإلهية في المخلوقات، من حيث إيجاد الأشجار والثمار والحبوب والبقول والأزهار، والتأمل في كيفية تكوينها وجميل صنيعها، مما يقوي في الإنسان عقيدة الإيمان برب السماوات والأرض وجميع الكائنات...

وإذا كان عالم النبات صفحة في كتاب الله المنظور فإننا نشهد فيه صورة الحياة؛ في حركتها وانتقالها، وفي مراحلها وأطوارها، وفي جمالها البديع الألوان والأشكال، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١] جاء في التفسير أَنَ كلَّ مَا فِي الأَرْضِ فابتَداؤه مِنَ السَّمَاءِ، ومعنى " ينابيعُ " الأمكنة التي ينبع منها الماء، وواحد الينابيع يَنْبُوع، من نَبَعَ يَنْبُعُ[1].

يُخبر تعالى أن أصل الماء من السماء كما قال عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ [الفرقان: ٤٨] فإذا أنزل الماء من السماء كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيوناً ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه أي أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفراً قد خالطه اليبس ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ أي ثم يعود يابساً يتحطم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٥٠)

أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء والشاب يعود شيخاً هِرماً كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت(١)

وقال أيضا: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

ها هو القرآن يلفت البصائر والأبصار إلى سر الحياة ومنشأ النبات وتعدده كما يحدثنا أن الزرع والنبات والشجر إنما ينشأ نتيجة تفاعل الماء والتراب والبذور، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٣]

فالله هو الذي خلق عالمنا كله؛ فسوَّاه تسوية تامة كاملة لا عوج فيها ولا اضطراب ولا نقص ولا زيادة، بل كل شيء فيه في وضعه الصحيح، يؤدي الغرض الذي من أجله خلق؛ فهو ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾: أي قدر لكل حي ما يصلحه مدة بقائه، وهداه وعرفه وجه الانتفاع بما فيه من منفعة له، ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أي أنبت النبات جميعه، وما من نبت ينبت إلاّ وهو يصلح أن يكون مرعى لحيوان ما، ثم بعد ذلك أنبت النبات ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾، والغثاء: هو الهشيم أو الهالك البالي، والأحوى: الذي يميل لونه إلى لون السواد.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى* فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ مثال على كمال الخلق والتسوية والهداية، والغثاء الأحوى إنما هو الفناء والإماتة وإزالة الحياة فكيف ذلك؟.. وهنا نقف وقفة قصيرة مع العلم الحديث لننظر ماذا قال هنا: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ أي جعله بعد خضرته يابساً أسود.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦٢)

وهل هناك نبات إذا جف صار يابسا أسود؟ لا يوجد فيما نعلم نبات هكذا؟

إذن فكيف أخرج الله تبارك وتعالى المرعى ثم جعله يابساً أسود، كيف ومتى.. ألا ينطبق هذا كل الانطباق على الفحم الحجري الذي تكوّن معظمه في حقب الحياة القديمة حينما ظهر النبات غير المزهر والسرخسيات بكثرة عظيمة، ثم تراكمت فوقها في بعض الجهات رواسب أخرى فتحولت إلى فحم حجري مع طول الزمن وارتفاع الضغط والحرارة؟!.. نعم، وهذا هو الغثاء الأحوى الذي تكلم عنه القرآن الكريم، وعلله فأصاب وأوجز؛ قال وأصاب في وقت كانت فيه مثل هذه الحقائق غريبة على عقول البشر، قال هذا فسبق العلم بقرون عديدة، أفليس هذا إعجازا؟.. بلى والله إنه نعم الإعجاز[1]

ونعلم أن أوّل النبات كانت الأعشاب والمراعي، وما من نبات إلا وهو صالح لخلق من خلق الله؛ فهي هنا أشمل مما نعهده من مرعى أنعامنا؛ فالله خلق هذه الأرض وقدّر فيها أقواتها لكل حي يدب فوق ظهرها، أو يختبئ في جوفها، أو يطير في جوها.

والمرعى يخرج في أول أمره خضرا، ثم يذوى فإذا هو غثاء، أميل إلى السواد فهو أحوى، وهو في كل حالاته صالح لأمر من أمور هذه الحياة بتقدير الذي خلق فسوّى وقدر فهدى [2].

ووجه الإعجاز في آيات الزرع والنبات: قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]والتسبيح هو تنزيه الله تعالى من كل سوء والثناء عليه بالخير، قال أبو حيان وَنِسْبَةُ التَّسْبِيحِ

(١) ينظر: القرآن والعلم د/ أحمد محمود سليمان: ص ٦٦- ٦٧، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤.

(٢) ينظر: مملكة النبات كما يعرضها القرآن ويصفها (ص: ١٠٨)

للسموات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ مَلَكٍ وَإِنْسٍ وَجِنٍّ حَمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى النُّطْقِ بِالتَّسْبِيحِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ مَا لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نُمُوَّ يُحْدِثُ اللَّهُ لَهُ نُطْقًا وَهَذَا هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ(١)

والعلم الحديث أثبت أن النبات يحس ويصدر أصواتا خاصة فقد توصل العلماء في جامعة **westem Aastralia** إلى اكتشاف اصوات تصدرها النباتات للتواصل مع بعضها لتحذيرها من الوقوع في الخطر (٢)

ولا يبعد أن تكون هذه الأصوات الصادرة عن النبات هي لغة خاصة بالنبات تدل على تسبيحها لله تعالى، لأن النباتات من الكائنات الحية التي تسمع وتتحدث وتتفعل بطريقتها، فإذا كان النبات يسمع ويدرك ويدافع عن نفسه ويفرز المادة التي يحتاجها في الوقت المناسب، كل هذه التقنيات والدقائق المودعة في النبات، أليس الله هو من أودعها فيه ومنحه إياها.

فقال تعالى ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠] اي أعطى كل شيء صورته ثم هدى كل إلى معيشته (٣)

فالنبات وكل المخلوقات تسبح وتمجد الله تعالى، روي الإمام البخاري بسنده عم ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل (٤)

كما أن هناك إعجازا في زوجية النبات وهو أنه لا يتفق نباتان من نوع واحد في صفاتها كلها، وأن عملية تلقيح الثمار معروفة منذ بدء خلق الخليقة، لكن اكتشاف هذه الأعضاء ومعرفة الذكر منها وتمييزه عن الأنثى عرف مؤخرا، والأصل في النبات وجود الزوجين، فلولا الزوجان ما كان هناك أخصاب ولا ثمار، وصدق الله القائل: ﴿سُبْحَانَ

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٤)
(٢) ينظر: مقالة لعبد الدائم الكحيل بعنوان النبات يتكلم
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣١٧/١٨)
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٣٥٧٩) (١٩٤/٤).

الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦] ويبرز الإعجاز في هذه الآية من خلال السبق العلمي للقرآن الكريم في ذكر الأزواج في كل شيء فورود الزوجية في القرآن الكريم وإثباتها بالاكتشافات العلمية الدقيقة ومعرفة الزوجية في كل شيء حتى في الذرة وما أصغر منها ليثبت قطعا صدق القرآن الكريم، فلم يكن عند العرب معرفة أن النباتات فيها زوجية وتلقيح وتكاثر إلا ما كان معروفا عند العرب من تأبير النخل، فهذا السبق للقرآن الكريم في المسائل العلمية الدقيقة التي لا يعلمها إلا الله تعالى قبل وصول العلم إليها؛ ليؤكد ان هذا القرآن من عند الله الذي حفظه الله تعالى من التحريف والتغيير.

الفصل الثالث: خلق النبات

المبحث الأول: كيفية خلق النبات

الله تبارك وتعالى خلق الأرض، وزينها بما على ظهرها من المياه والنباتات والأشجار، وفرشها بأنواع النبات، وجمَّلها بالزهور، وحمَّلها بالثمار من أجل الإنسان، الذي كرَّمه الله على سائر المخلوقات.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٧، ٨].

ووضع المولى الكريم مائدة نعمه عليها، من حلو وحامض، ورطب ويابس، وثمر وحبوب، وزرع ونخيل، وعنب وزيتون، وفواكه مختلفة، وأعشاب متنوعة: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢].

فجميع الحيوانات والطيور والحشرات وسائر البشر، كلهم يأكلون من هذه المائدة التي خلقها الله، ووضعها لهم على هذه الأرض.

وقد خلق الله سبحانه كل دابة ورِزْقها، فلا تموت حتى تستوفيه: قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

والله عزَّ وجلَّ أنزل من السماء ماء، فمازج الأرض، فأوجد الله بينهما بسبب هذه الممازجة والمخالطة أنواعاً مختلفة من الثمار والفواكه والحبوب، والزروع والأشجار، وسائر الأغذية والأقوات المختلفة الألوان والأشكال، والأحجام والطعوم كما قال سبحانه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ

﴿الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ – ٧].

فسبحان من غير بالماء الأرض المغبرة، حتى صارت مخضرة. وسبحان من زينها بالنبات والأزهار، كما زين الإنسان بالثياب والأخلاق.

وسبحان من أنجب منها وأظهر ملايين المواليد من النباتات. ذلك هو الله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، فهو خالق كل شيء، كما ابتدأ الخلق، وكما أحيا الأرض بعد موتها، يحيي الموتى، ثم يجازيهم، وهو على كل شيء قدير.

وهذه الزروع التي تنبت، والأشجار التي تثمر، آية من آيات الله الباهرة، هو الذي خلقها ونمّاها، وأخرج منها الثمار والحبوب، فلكل نبتة، ولكل شجرة، ولكل ورقة، ولكل ثمرة، أمر من الله بالخلق، وأمر بالبقاء، وأمر بالنفع والضر.

أما دور البشر فهم يحرثون، ويلقون الحب الذي خلقه الله في الأرض التي خلقها الله، ويسقونه بالماء الذي خلقه الله، ثم ينتهي دورهم: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ – ٦٧].

إن الحبة أو البذرة تأخذ طريقها إلى الحياة بأمر الله عزَّ وجلَّ.. وتسير فيه سيرة العاقل العارف الخبير بمراحل الطريق.. الذي لا يخطئ مرة كما يخطئ الإنسان في عمله.. ولا ينحرف عن طريقه.. ولا يضل الهدف المرسوم(١).

فسبحان من خلقها، وسبحان من دبرها، وسبحان من كبرها، وسبحان من صورها.

إن يد القدرة الإلهية هي التي تتولى خطاها على طول الطريق في هذه الرحلة العجيبة التي ما كان العقل ليصدقها لولا أنه أبصرها ورآها.

فأي عقل يصدق، وأي خيال يتصور، أن حبة القمح مثلاً يكمن فيها هذا العود، وهذا الورق، وهذه السنبلة، وهذا الحب الكثير.

---

(١) ينظر: موسوعة فقه القلوب (١/ ٥٢٤)

أو أن هذه النواة تكمن فيها نخلة كاملة سامقة بكل ما تحتويه من جذور وأوراق وثمار وأولاد.

إن العقل لا يصدق هذا، لولا أنه يراه يقع بين يديه صباح مساء، ولولا أن هذه القصة تتكرر على مرأى ومسمع من جميع الناس.

إن كل حبة، وكل نبتة، وكل بذرة تنبت وتنمو وترتفع بأمر خالقها، ولو شاء سبحانه لم تبدأ رحلتها، ولو شاء لم تتم قصتها، ولو شاء لجعلها حطاماً قبل أن تؤتي ثمارها.

وهي بمشيئة الله تقطع رحلتها من البدء إلى الختام، وتقدم نفسها طعاماً للإنسان، وهو يعصي ربه، ويخالف أمره، بل قد يستعملها في معصيته.

ولكن الله غفور حليم يمنحهم الثمر، ويسمح للنبتة أن تتم دورتها، وتكمل رحلتها: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. أي: ذو تفضل على خلقه، ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ على تفضل الله عز وجل عليهم[١].

وقد قال تعالى في وصف ذاته الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي لصاحب فضل دائمًا، أي أن الفضل على الناس بلازم ذاته الكريمة، فهو المتفضل سبحانه وتعالى دائمًا[٢]

والنبات والحيوان أمم وقبائل، وأشكال وألوان لا يحصيها إلا الله:

فالنبات منه ما هو معمر.. ومنه ما هو حولي.. ومنه ما هو فصلي.. ومنه الأبيض والأسود.. ومنه الأحمر والأصفر.. ومنه الأخضر والأزرق.. ومنه زهر بلون.. وزهر بلونين.. وزهر بألوان.

ومنه حلو.. ومنه مر.. ومنه حار.. ومنه بارد.. ومنه مالح.. ومنه حامض.. ومنه ثمر بنوى.. وثمر بدون نوى.

---

(١) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٢٨٨)

(٢) ينظر: زهرة التفاسير (٢/ ٨٦٥)

ومنه ثمر ظاهر على الأرض.. ومنه ثمر على رأس الشجر.. ومنه ثمر في باطن الأرض.

ومنه ما يتكاثر بالنواة.. ومنه ما يتكاثر بالعروق.. ومنه ما يتكاثر بالأغصان.. ومنه ما هو في البر.. ومنه ما هو في البحر.. ومنه ما هو رطب.. ومنه ما هو يابس.. ومنه ما هو مجموع كالرمان.. ومنه ما هو مفرود كالتمر.. ومنه الكبير.. ومنه الصغير.. ومنه الكروي.. ومنه المستطيل.. ومنه القائم.. ومنه النائم.. ومنه المعلق.

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق هذه المواليد المختلفة من أم واحدة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ [يس: ٣٦].

فما أجهل البشر بخالقهم، وما أجرأ أكثرهم على معصيته: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٧، ٨].

والله سبحانه خلق الإنسان من تراب، وأنبته من هذه الأرض، ثم يعيده بعد تمام أجله، ثم يخرجه للبعث كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨)﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وقد خلق الله سبحانه أصناف الأشجار والنبات، وزيَّنها بالأوراق والأزهار والثمار.

وجعل الأوراق زينة للأشجار، وستراً ولباساً للثمار، ووقاية لها من الآفات التي تمنع كمالها، ولهذا إذا جردت الشجرة من الورق، ماتت الشجرة، وفسدت الثمرة ولم ينتفع بها.

ويكسو الله عزَّ وجلَّ الأشجار كل سنة لباساً جديداً من الأوراق.

فتبارك الله رب العالمين، الذي يعلم مساقط تلك الأوراق ومنابتها، فلا تخرج منها ورقة إلا بإذنه، ولا تسقط إلا بعلمه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام: ٥٩].

ومع هذا الجمال والزينة، وهذه الثمار المتنوعة، هناك جمال آخر، فلو شاهدها الناس وهي تسبح بحمد ربها، أغصانها وأوراقها، وأزهارها وثمارها، لشاهدوا أمراً آخر، ولرأوا خلقها بعين أخرى، ولعلموا أنها لشأن عظيم خلقت، فهي ساجدة لربها، مطيعة لخالقها الذي: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء: ٤٤].

فسبحان العزيز الجبار الكريم الرحمن، الذي يسبح له، ويسجد له، ويصلي له، جميع ما في السموات وما في الأرض من الكائنات.

وسبحان من تؤوب له الجبال بالتسبيح، وتهبط من خشيته الأحجار، وتتفجر بالماء من خشيته الصم الصلاب.

إن تكون حمل الشجر، وتقلبه من حال إلى حال كتنقل أحوال الجنين في بطن أمه، فبينما ترى الشجرة عارية، إذ كساها ربها بالزهر والورق أحسن كسوة، ثم أطلع فيها حملها ضعيفاً صغيراً.

ثم ساق إليه غذاءه في تلك العروق، فتتغذى به كما يتغذى الطفل من لبن أمه، ثم رباه ونماه حتى استوى وكمل.

فسبحان العليم القدير الذي اخرج ذلك الجني اللذيذ اللين الحلو، من تلك الحطبة الصماء، في تلك الأرض الغبراء، إن الذي أحياها لمحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ [فصلت: ٣٩]. (١)

(١) ينظر: موسوعة فقه القلوب (١/ ٥٢٣)

المبحث الثاني: الاهتمام بالزراعة وبيان أهميتها في الحياة

من المظاهر المهمة في إعمار الكون المحافظة على موارده، ومن ثَمّ الإحسان إلى البيئة بنباتاتها وأشجارها، وحذر القرآن الكريم من كل سلوك يؤذي موارد الطبيعة، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ *وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، و إهلاك الحرث والنسل كناية عن اختلال ما به قوام أحوال الناس، وكانوا أهل حرث وماشية فليس المراد خصوص هاذَيْن بل المراد ضياع ما به قوام الناس، وهذا جار مجرى المثل(١)

ولعل التشديد في الحفاظ على النبات والزرع لأهميته في حياة الإنسان وسبب في بقائه، فهو أساس الحياة، والآيات الكريمة توضح ذلك، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧] وخص الزرع بالذكر، وإن كان يخرج الله به أنواعًا كثيرة من الفواكه والبقول والعشب المنتفع به في الطب وغيره تشريفًا للزرع، ولأنه أعظم ما يقصد من النبات، وأوقع الزرع موقع النبات(٢).

فهذه الاية تندرج تحت عنصر المنفعة من النبات على الإنسان والحيوان.

وفي الحفاظ على النبات نهانا الله عز وجل عن إفساد الحرث والنسل، قال تعالى: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وهو مبالغة في الإفساد، و إِهْلَاكَ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِيذَاءِ الشَّدِيدِ وَقَدْ صَارَ التَّعْبِيرُ بِهِ عَنْ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ الْمَثَلِ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُؤْذِي مُسْتَرْسِلًا فِي إِفْسَادِهِ وَلَوْ أَدَّى إِلَى إِهْلَاكِ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ، وَكَذَلِكَ شَأْنُ الْمُفْسِدِينَ يُؤْذُونَ إِرْضَاءً لِشَهَوَاتِهِمْ وَلَوْ خَرِبَ الْمُلْكُ بِإِرْضَائِهَا(٣)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير . (٢/ ٢٧٠)

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٢/ ٣٨٥)

(٣) ينظر: تفسير المنار (٢/ ١٩٩)

الفصل الرابع: عجائب الحياة في النبات

ينبت النبات عمومًا من بذرة توافرت لها ظروف خاصة، أهمها حيوية الأجنة فيها، وتحافظ البذور على حيويتها لمُدد طويلة تعتبر في ذاتها دليلاً على وجود الله، فقد أمكن استنبات حبات قمح وجدت في قبور الفراعنة، ويجب توافر الماء الضروري للإنبات، والحرارة المناسبة. فكل بذرة تنبت في درجة حرارة معينة، والهواء ضروري للنبات، فهو كائن حي يعيش ويحيا ويتنفس بل ويحس.. ودرجة إحساسه واستجابته للمؤثرات قوية وسريعة.. فالنبات يقلق ويهدأ.. يحزن ويسعد.. فلقد أجريت تجارب على نباتات وضعت في مركبات فضاء.. وبأجهزة القياس.. أوضحت التسجيلات أن صدمات عصبية أصابت النباتات وبدا عليها الاضطراب.. وما إن رجعت إلى الأرض حتى عاد إليها الاستقرار والهدوء. وإذا استنبتت البذرة وخرج الجنين الحي مكونًا جذيرًا صغيرًا بدأ يتغذى من الغذاء المدخر في البذرة حتى يستطيل عوده ويضرب في الأرض ليأكل منها، شأنه في ذلك شأن الجنين في الإنسان والحيوان يتغذى من أمه وهو في بطنها، ثم من لبنها، ثم يستقل عنها، ويعتمد على نفسه في غذائه عندما يستوي. عوده فهل غير الله أودع في البذرة الحياة؟ وهل غير الله وهب الجذر قوة التعمق في الأرض وأخرج الساق وأنبت عليها الأوراق، فالأزهار، فالثمار؟

المبحث الأول: تنفس النبات

اكتشف في عام ١٧٧٩ م أن النبات يتنفس، فيأخذ الأكسجين ويطرد ثاني أكسيد الكربون، مثله في ذلك مثل الإنسان والحيوان، ويصحب تنفس النبات ارتفاع في درجة الحرارة، ويتم التنفس في الليل والنهار، إلا أنه في النهار لا تظهر نتيجة التنفس واضحة بالنسبة لعملية التمثيل الكربوني التي يجريها النبات بسرعة أكثر من عملية التنفس، فيخرج الأكسجين ويمتص ثاني أكسيد الكربون. لذلك قد عرف بأن ارتياد الحدائق يكون نهارًا أفضل.

وقد دلت الأبحاث على أن عملية التمثيل الكربوني، كانت كافية وحدها باستهلاك ثاني أكسيد الكربون الموجود في العالم، لو أن الأمر قد اقتصر عليها، ولكن العليم الخبير قدر ذلك، فجعل الكائنات الحية الأخرى تخرج في تنفسها ثاني أكسيد الكربون.

ولم يترك أمر استهلاك ثاني أكسيد الكربون وإنتاجه دون تحديد، فقد قضت حكمة الخالق أن تكون نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو دائمًا من ثلاثة إلى أربعة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء هواء، وهذه النسبة ينبغي أن تكون ثابتة على الدوام لعمار العالم، فلم يحدث أي تغير لها قط مهما اختلفت عمليات الاستهلاك والإنتاج [١]

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (١/ ٢٣٣)

المبحث الثاني: إنبات النبات:

وبنزول ماء المطر وخزنه بين صفائح حبيبات التربة وعلى أسطح الحبيبات نفسها يستفيد النبات من ذلك الماء خلال الفترة التي تلي نزول المطر فتبدأ البذور الجافة الموجودة في التربة بامتصاص الماء والمواد المعدنية من الوسط المحيط بها وتتحرك العمليات الكيميائية الحيوية في البذور فتنبت وتنمو الدرنات والأبصال وتصبح مساحة سطحية كبيرة من الشعيرات الجذرية للنباتات معرضة لمحلول التربة مما يسهل عليها عملية امتصاص الماء والعناصر الغذائية.

كما تنشط ملايين الكائنات الحية الموجودة في التربة، فالفطريات والبكتريا تحول بقايا النباتات والحيوانات إلى مواد معدنية تمتصها النباتات عبر الجذور تقوم ديدان الأرض بحفر الأنفاق عبر التربة مفسحة المجال لدخول الهواء والماء خلال التربة فتصبح الأرض مخضرة بإنباتها من كل زوج بهيج.

وقد وصف القرآن هذه الحركة الدقيقة لحبيبات التربة والتي لم تشاهد إلا بالمجهر كما وصف ما يحدث من نمو (ربو) لحبيبات التربة الصغيرة بسبب دخول الماء بين الصفائح المكونة لها، ودخوله بين الحبيبات وما ينتج عن ذلك من خزن طويل للماء فيكون سببا لاستمرار إنبات النبات ونموه في وقت انقطاع المطر.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. المعاني اللغوية: قوله تعالى: هامِدَةً. يقال في اللغة: " همد" الهاء والميم والدال: أصل يدل على خمود شيء. وأرض هامدة: لا نبات بها. والهمود: الموت «٣».

قوله تعالى" خاشعة": يقال في اللغة (خشع): الخاء والشين والعين أصل واحد يدل على التطامن. و" بلدة خاشعة": مغبرة. الخشوع: السكون والتذلل [١].

(١) ينظر: بينات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته (ص: ١٣٤)

قال ابن كثير في تفسيرها: وقوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي الدالة على قدرته على إعادة الموتى ﴿أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي هامدة لا نبات فيها، بل هي ميتة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي أخرجت من ألوان الزروع والثمار(١)

المبحث الثالث: زوجية النبات

الزوجية في النبات: من مظاهر الزوجية في المخلوقات: الزوجية في النباتات، ففي عالم النبات نجد النبات المذكر والنبات المؤنث، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣] ومن الآيات التي ذكرت الزوجية في النباتات قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧] وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦] فالزوجية في النبات يُقصد بها الذَّكر والأنثى والأصناف والأنواع في المكان الواحد.

والإثبات العلمي في زوجية النباتات، أنه لا يتفق نباتان من نوع واحد في صفاتهما كلها، مع العلم أن عملية تلقيح الثمار معروفة منذ بدء الخليقة لكن اكتشاف هذه الأعضاء ومعرفة الذكر منها وتمييزه عن الأنثى عرف مؤخرًا.

والأصل في النبات وجود الزوجين، فلولا الزوجان ما كان هناك إخصاب ولا ثمار، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]فهذه الآية تثبت الزوجية في كل ما تنبت الأرض من نبات، فقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٢)

﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾ أي من زروع وثمار ونبات ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فجعلهم ذكراً وأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي من مخلوقات شتى لا يعرفونها، كما قال جلت عظمته: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

وكلٌّ واحدٍ منهما أيضاً يسمَّى زوجاً. يقال: هما زوجان للاثنين وهما زوجٌ، كما يقال هما سِيَّانِ وهما سواءٌ. وتقول: اشتريتُ زوجَيْ حمام وأنتَ تعني ذكراً وأنثى(٢)

ويشير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، يدل دلالة واضحة على أن علم البشر يظل قاصرًا عن إدراك شمول الزوجية في جميع الأشياء، لأنه سيتبين في مستقبل الزمن الزوجية في أشياء لم تكن معلومة من قبل وأنه يوجد أزواج لم يتوصل العقل البشري إليها، واحتواء القرآن على مثل هذه الإشارات العلمية ليدل دلالة واضحة على الإعجاز العلمي فيه، وعلى قدرة الله تعالى المطلقة.

(١) ينظر: المرجع السابق (٣/ ٦٨٨)

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٣٢٠): لسان العرب (٢/ ٢٩١)

الفصل الخامس: أقسام الزرع بحسب المكان والزمان

المبحث الأول: الزراعة الموسمية وغير الموسمية:

من سعة الرزق على الإنسان ما انعمه الله عليه من إحياء الأرض وإنبات الزرع بمختلف ألوانه وأشكاله وأصنافه، قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ [يس: ٣٣، ٣٤] ولقد نبَّه الله عز وجل إلى أن الأرض واسعة وأن خيراتها كثيرة، وأن كل ما فيها مسخر لمصلحة الإنسان، قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] وفضلًا عن الرزق وسعة الأرض فإن الله زيّينها، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤]، والمقصود بالزينة: النبات، يقول الهرري: قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ وما زال ذلك النبات ينمو ويزهو ويكبر، حتى إذا أخذت الأرض، واستوفت واستكملت إنباتها وأظهرت زخرفها وجمالها وبهجتها من النبات ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾؛ أي: تزينت بذلك الزخرف والنبات، كعروس أخذت حليها من الذهب والجواهر والحلل المختلفة الألوان، ذات البهاء والبهجة، وازينت بها في ليلة زفافها[١] وقال القرطبي: ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ أي بالحبوب والثمار والأزهار[٢]

وتضمنت الآيتان الكريمتان السابقتان ثلاثة أصناف من النبات هي الحب والأعناب والنخيل، ويلاحظ على الآية الكريمة الأولى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ أنها تضمنت الحب من الأصناف الثلاثة التي ذكرتها الآيتان، وفي الآية

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٢/ ٢٠٩)
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٢٧)

الثانية ذكر الله النخيل والأعناب مقترنين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ وهذا الترتيب يوحي إلى أن الظروف التي يتطلبها الحب تختلف عن ظروف النخيل والأعناب، ويؤكد لنا ذلك اقتران ذكر النخيل والأعناب بالعيون، قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ ففي هذا التقسيم إشارة إلى أن أنواع الزراعة منها الموسمية وغير الموسمية وإلى بعض ظروف البيئة المرتبطة بها، وبيان ذلك من خلال: قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾، قال ابن عاشور: وموت الأرض: جفافها لخلوّها من حياة النبات فيها، وإحياؤها: خروج النبات منها من العشب والكلأ والزرع[1]، ويكون إحياؤها بإنزال المطر عليها، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾، والحَب معظم ما يؤكل وأكثر ما يقوم به المعاش، قال الشوكاني في معنى قوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾، وهو ما يقتاتونه من الحبوب وتقديم قوله: "منه" للدلالة على أن الحَب معظم ما يؤكل وأكثر ما يقوم به المعاش[2] فهو يشمل الحبوب بكافة أشكالها وألوانها وانواعها، لذلك لم يحددها الله –عز وجل– في الآية الكريمة

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾، وجعل الجنات في الأرض نعمة أخرى بعد الحب، لان الأرض تنبت الحب في كل سنة، قال الرازي: ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة لأن الأرض تنبت الحب في كل سنة، وأما الأشجار بحيث تؤخذ منها الثمار فتكون بعد الحب وجودا[3]، وفي هذا إشارة إلى التفريق بين الزراعة الموسمية وغير الموسمية.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير . (٢٣/ ١٣)
(٢) ينظر: تفسير فتح القدير . (٤/ ٣٦٨) التفسير المنير للزحيلي (٢٣/ ١٣)
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/ ٢٧٢)

وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾، قال ابن كثير: أي: جعلنا فيها أنهارًا سارحة في أمكنة، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره. لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عَطَف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها(١). والجدير بالملاحظة أن الحديث في هذه الآية تعرَّض لإحياء الأرض الميتة دون أن يقرن ذلك بذكر المطر الذي عادة ما يذكر في مثل هذه المواضع، وإنما ورد الحديث هنا عن العيون، وذلك لأن المطر كاف لزراعة الكثير من المحاصيل والنباتات، في حين أن الأشجار المثمرة تحتاج إلى الماء الجاري أيضًا، ولو كان ماؤها من السماء لحصل ولكن لم يعلم انها أين تغرس، وأين يقع المطر وينزل القطر (٢)

ويمكن القول إن الحب (القمح والشعير والعدس) ارتبط ذكره في الآية الكريمة بموسم المطر فهو من الزراعة الموسمية، وهو بذلك يختلف عن النخيل والأعناب الذي يحتاج إلى كميات كبيرة من الماء على مدار السنة لذلك فهو بحاجة إلى جنات وبساتين، وبحاجة إلى أنهار وعيون.

كما ورد تصنيف النبات إلى موسمي وغير موسمي في قول الله عز وجل ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٠ – ١٢] قال ابن عاشور: والحب ذو العصف (: هو الحب الذي لنباته سنابل ولها ورق وقصب فيصير تبناً، وذلك الورق والقصب هو العصف، أي الذي تعصفه الرياح وهذا وصف لحبّ الشعير والحنطة وبهما قوام حياة معظم الناس وكذلك ما أشبههما من نحو السلت والأرُز.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٧٥)
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/ ٢٧٢)

وسمي العصف عصفاً لأن الرياح تعصفه، أي تحركه ووصفُ الحب بأنه) ذو العصف (للتحسين وللتذكير بمنة جمال الزرع حين ظهوره في سنبله في حقوله نظير وصف النخل بذات الأكمام ولأن في الموصوف ووصفه أقوات البشر وحيوانهم [١].

و الريحانُ: ما له رائحة ذكية من الأزهار والحشائش وهو فَعْلان من الرائحة، وإنما سمي به ما له رائحة طيبة. وهذا اعتبار وامتنان بالنبات المودعة فيه الأطياب مثل الورد والياسمين وما يسمى بالريحان الأخضر[٢].

وهذا التفريق بين الجنات والحب نجده في قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ١٠]، والمعنى أي: أي أنشأنا جنات يقطف ثمارها وأصولها باقية وزرعا يحصد كل سنة ويزرع في كل عام أو عامين[٣]

وتشير الآية السابقة أن الجنات المختصة بالشجر غير موسمية، في حين أن الحب من المحاصيل الموسمية.

(١) ينظر: التحرير والتنوير . (٢٧/ ٢٤٢)
(٢) ينظر: المرجع السابق (٢٧/ ٢٤٢)
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٢٩)

المبحث الثاني: الأرض الخصبة والأرض الميتة

أولًا: الأرض الخصبة:

القرآن في كثير من الآيات تحدث عن صفات الأرض الخصبة، ومنها:

١- الأرض المباركة: قال تعالى ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] وبركتها: كَثْرَة مياهها وأشجارها، وَعُمُوم الخصب بهَا، حَتَّى يعِيش فِيهَا الْفَقِير والغني بعيش طيب[١] وباركنا فيها بالخير، والبركة بالأشجار والثمار والأنهار. وقد وردت آيات تدل على هذا ; كقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]

٢-الأرض الصالحة للزراعة: قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩] ذكر الله – تعالى – خلقَه للأرض ومدَّه وتوسيعَها وبسطَها وما جعل فيها من الجبال الرواسي والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة ليحصل بها الانتفاع من حلها[٢]

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩] أي: وأخرجنا من الأرض كل شيء موزون يعني من كل ألوان النبات معلوم ومقدر بقدر؛ كقوله: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]. [٣]

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٣/ ٣٩٢)

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٧٢)

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٢٦) تأويلات أهل السنة (٦/ ٤٢٩).

ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٠-١٣]

أي: والأرض بسطها للسكنى لكل ما له روح، وفيه حياة لينتفع بما في ظاهرها وما في باطنها في معايشه على ضروب مختلفة وأشكال لا حصر لها، وَ فيها ﴿الْحَبُّ﴾؛ أي: جميع الحبوب التي يقتات بها: كالحنطة، والشعير، والذرة ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾؛ أي: صاحب الورق على سنابلها، وسوقها لعلف الدواب. ﴿وَ﴾ فيها ﴿الرَّيْحَانُ﴾؛ أي: كل نبت مشموم تطيب رائحته. (١).

ثانيًا: الأرض الميتة (اليابسة) يقال أَرْضٌ يَبابٌ أَي خرابٌ. وحوض يباب اي لا ماء فيه، واليباب عند العرب: الذي ليس فيه احد، واليباب الخالي لا شئ فيه (٢)

ولم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم بلفظها الصريح أو أحد متصرفاتها، ولكن وردت مجموعة من المعاني الدالة عليه، والتي في مجملها تدل على الخراب والهلاك والقحط والخلو من النبات ومن هذه المعاني:

١- الأرض الجُرز: قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧] والجُرُزُ أَن تَكُونَ الأَرضُ لَا نَبَاتَ فِيهَا؛ يُقَالُ: قَدْ جُرِزَتِ الأَرضُ، فَهِيَ مَجْرُوزَةٌ، جَرَزَها الجَرادُ والشَّاءُ والإِبل وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ وَيُقَالُ: أَرض جُرُزٌ وأَرَضُونَ أَجْرازٌ (٣).

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٨/ ٢٧٣)
(٢) ينظر: لسان العرب (١/ ٨٠٥)
(٣) ينظر: لسان العرب (٥/ ٣١٧)

والأرض الجرز: وهي الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها[١] وهي اليابسة المعدومة النبات[٢]وقيل الأرض الجرز﴾ أي: التي جرز نباتها أي: قطع باليبس والتهشم أو بأيدي الناس فصارت ملساء لا نبات فيها[٣]

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] والصَعيد الطريق الذي لا نبَاتَ فيه، والجرُز الأرض التي لا تنبت شيئاً كأنها تأكل النَبْتَ أكلًا، يقال أرْضٍ جُرزٌ، وَأرضُون أجرَازٌ [٤]

يقول السيد طنطاوي _ رحمه الله _: وإنا- أيضا- بمقتضى حكمتنا، لجاعلون ما عليهم من هذه الزينة في الوقت الذي نريده لنهاية هذه الدنيا، «صعيدا»، أى: ترابا «جرزا» أى: لا نبات فيه، يقال أرض جرز، أى: لا تنبت، أو كان بها نبات ثم زال[٥].

٢-الأرض الميتة: قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] فالحياة تطلق على تحرك القوى النامية من الأرض: يقول الرازي رحمه الله: أما قوله: فأحيا به الأرض بعد موتها: فاعلم أن هذه الحياة من جهات. أحدها: ظهور النبات الذي هو الكلأ والعشب وما شاكلهما، مما لولاه لما عاشت دواب الأرض. وثانيها: أنه لولاه لما حصلت الأقوات للعباد. وثالثها: أنه تعالى ينبت كل شيء بقدر الحاجة، لأنه تعالى ضمن أرزاق الحيوانات، بقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]. ورابعها: أنه يوجد فيه من الألوان والطعوم والروائح وما يصلح للملابس، لأن ذلك كله

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٤٩٢)
(٢) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن (٥/ ٣٣٢)
(٣) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٣/ ٢١٥)
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٩)
(٥) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٤٧١)

مما لا يقدر عليه إلا الله. وخامسها: يحصل للأرض بسبب النبات حسن ونضرة ورواء ورونق فذلك هو الحياة.

والجسم إذا صار حيا حصل فيه أنواع من الحسن والنضرة والبهاء، والنشور والنماء، فأطلق لفظ الحياة على حصول هذه الأشياء، وهذا من فصيح الكلام الذي على اختصاره يجمع المعاني الكثيرة(١).

٣-الأرض الهامدة: قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] والأرض الهامدة وهي اليابسة القاحلة التي لا نبات فيها.

و ميتة أي: يابسة، ومثله: همدت النار: إذا طفئت فذهبت. قوله تعالى: فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ يعني: المطر اهْتَزَّتْ أي: تحرَّكت للنبات، وذلك أنها ترتفع عن النبات إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى: وَرَبَتْ أي: ارتفعت وزادت(٢).

٤- واد غير ذي زرع: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

و واد غير ذي زرع أي: مكان لا ماء فيه ولا نبات ولا زرع؛ ففي مثل هذا المكان يستوحش المقام فيه(٣)

وفي دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام تقرير أنه أسكن من ذريته بواد غير ذي زرع،

و (مِن) هنا للتبعيض وهي ذريته من إسماعيل، أما ذريته من إسحاق فلم تكن بواد غير ذي زرع، أي أنه لَا زرع فيه، ينبت ما يكون غذاء للإنسان والحيوان كالحنطة والشعير ونحوهما مما يكون غذاء للإنسان(٤).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٤/ ١٧٠)

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٢٤)

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة (٦/ ٤٠٤)

(٤) ينظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٠٣٨)

المبحث الثالث: إظهار قدرة الله تعالى وحكمته في الزرع والنبات

لو تدبرنا في كتاب الله تعالى لوجدنا كثيرًا من الآيات ترشدنا إلى البحث في معرفة سنن الله وحِكَمِه فيها، وآياته الكثيرة الدالة على علمه وحكمته ومشيئته وقدرته وفضله ورحمته ومن هذه الآيات: جميع العلوم النباتية، قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣] فمن دلائل قدرته تعالى في الآية الكريمة (مدّ الأرض) ومدُّها أي: بسطُها في الطول والعرض [١].

قال أهل اللغة: معنى المد: أخذ المجتمع بجعله على الطول والعرض، ولذلك قال الفراء: أي بسط الأرض طولاً وعرضًا. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالًا ثوابت يريد أوتدها بالجبال [٢].

قال الماوردي: قوله تعالى: ﴿وهو الذي مَدّ الأرض﴾ أي بسطها للاستقرار عليها، رداً على من زعم أنها مستديرة كالكرة. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً، واحدها راسية، لأن الأرض ترسو بها[٣].

﴿ وَمِنْ كُلِّ الثمرات جعل فِيهَا ﴾ أَيْ: خَلَقَ فِيهَا ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أَيْ: صِنْفَيْنِ[٤]. وقيل: نوعين اثنين من الحلو والحامض، والرّطب واليابس، والنافع والضار [٥].

---

(١) ينظر: التفسير البسيط (١٢/ ٢٨٦)
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٣٧.
(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٩٢)
(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٣٤٥)
(٥) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٤٥١)

وفي عرض هذه الدلائل دعوة إلى التفكير في خلق الله عز وجل واكتشاف عظيم قدرته، لذلك تنتهي هذه الآيات غالبًا بقوله: لقوم يتفكرون، لقوم يعقلون، فقد وصفت الآيات بأنها من اختصاص الذين يعقلون تعريضًا بأنّ من لم تقنعهم تلك الآيات منزلون منزلة من لا يعقل، وزيد في الدلالة على أن العقل سجية للذين انتفعوا بتلك الآيات بإجراء وصف العقل على كلمة (قوم) إيماءً إلى أن العقل من مقومات قوميتهم(١)

ومن دلائل قدرة الله عز وجل في خلقه أن كل شيء عنه بمقدار، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]، وهذه آية عظيمة تدل على بديع خلق الله المنظَّم المحْكم المبدع (٢)

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾؛ أي: خلقنا في الأرض وجعلنا فيها جبالًا ﴿رَوَاسِيَ﴾؛ أي: ثوابت لا تتحرك خوف أن تضطرب الأرض بسكانها، كما قال في آيات أخرى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٩]. والمعنى: وجعلنا في الأرض رواسي بقدرتنا الباهرة، وحكمتنا البالغة(٣)

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ وأنشأنا وأوجدنا في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أنواع النباتات ﴿مَوْزُونٍ﴾؛ أي: مقدر معلوم(٤)

وفي الآية دلالة على أن الله خلق كل شيء موزون بميزان الحكمة بدقة وإحكام وتقدير بعظيم قدرة الله تعالى في الظروف الذي يعيش فيها النبات.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير . (١٣/ ٨٨)
(٢) ينظر: زهرة التفاسير (ص: ٢٦٠٢)
(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٥/ ٣٠)
(٤) ينظر: المرجع السابق (١٥/ ٣١)

ولذلك نجد من أصناف النبات ما يدل على قدرة الله عز وجل، ونجد هذا أخضر، وهذا يميل إلى السواد أكثر، وهذه الزهور بعضها حمراء، وبعضها زرقاء، وبعضها بيضاء، مختلفة متنوعة تدل على كمال قدرة الله عز وجل.

ومن عظيم قدرة الله عز وجل أنه جعل النبات أصنافًا مختلفة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩] فإن في خلق هذه الزروع والثمار مع اختلاف أجناس الثمرات والزروع في أشكالها وألوانها وطعومها وأوراقها، إن في ذلك كله لدلائل باهرة، على قدرة الله- تعالى- واختصاصه بالعبادة، لقوم يستعملون عقولهم في التفكير السليم، والتأمل النافع(١).

كما أن هناك آيات أخرى لفتت الانتباه ونبَّهت العقول إلى ما في هذا النبات والزرع من بديع صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء خلقه، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤]، أي حسُنت واستكملت زينتها وبهجتها؛ بالثمار والأزهار، والنبات والأقوات(٢)

وأمام قدرة الله تعالى: تعجز قوة الإنسان وقدرته مهما عظم أمرها، وفي هذا دعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا وما فيها لأنه يقود بصاحبه إلى الهلاك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٤٤٤)
(٢) ينظر: أوضح التفاسير (١/ ٢٤٩)

﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] يقول ابن كثير: ضرب تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي زينتها الفانية ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ أي حسنت بما خرج في رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي على جذاذها وحصادها فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيبست أوراقها وأتلفت ثمارها [١]

فإنبات النبات آية من آيات الله تعالى العديدة الدالة على وجود الله – تعالى – وقدرته الشاهدة على علمه وحكمته والموجبة للإيمان به وتوحيده وعبادته، وهذه الآيات تنطق بأن خالقها عليم حكيم، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فإنبات النبات آية عظيمة لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

وإن من عظيم آيات الله عز وجل في خلقه ذلك النبات العظيم الأصناف الجميل البهيج يخرجه الله عز وجل من الأرض الميتة بعد إنزال الماء عليها فتصبح الأرض مخضرة ذات حس وجمال.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠٣) التفسير المنير للزحيلي (١١/ ١٤٩)

المبحث الرابع: الاهتمام بالنبات وبيان أهميته في الحياة

من المظاهر المهمة في إعمار الكون المحافظة على موارده، فلا يصح التعرض لما فيه بالإتلاف أو التدمير

ومن مجالات الإحسان بالبيئة وعناصرها الحية: الإحسان بنباتاتها وزروعها، وذلك لأن الإنسان مستخلف من الله في هذه الأرض، فيجب المحافظة على ما استُخلِف عليه، وحذَّر القرآن من كل سلوك يؤذي موارد الطبيعة كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦] وغاية الإفساد: إهلاك الحرث والنسل، و خصَّهما بالذكر لأنهما أعظم ما يحتاج إليه في عمارة الدنيا، فكان إفسادهما غاية الإفساد(١)

وإهلاك الحرث والنسل كناية عن الإيذاء الشديد(٢)

وفي ذلك تحريم الاعتداء على الزرع والنبات، لأنه أعظم ما يحتاج غليه في عمارة الكون، ولعل التشديد في الحفاظ في الحفاظ على الز رع والنبات لأهميته في حياة الإنسان ومقومات عيشه فهو عصب الحياة في تاريخ الحضارات.

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٣٠)

(٢) ينظر: محاسن التأويل (٢/ ٨٣)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد:

بعد الاطلاع على نتائج البحث، أوجز نتائجه والدروس المستفادة منه فيما يلي:

أن الزروع والنباتات توفر لنا الغذاء الذي نتناوله، وتكون أيضًا علف لحيواناتنا، والملابس التي نرتديها، بالإضافة إلى المكونات الفعالة للأدوية التي نستخدمها، كما تعد النباتات الحية أساسية لسلامة محيطنا الحيوي، فهي تنتج الأكسجين وثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي.

إن لله عز وجل في خلقه آيات بينات تدل على وجوده، وتشهد بربوبيته وتنطق بوحدانيته، وتقر بصمديته، فمن تأمل في الكون من حوله، وأدار بصره في خلق ربه عز وجل رأت عيناه من صنع الله تعالى علم اليقين أن لهذا الكون موجدا، وأن لهذا الخلق صانعًا حكيما، ومن ذلك:

- نزول الماء من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها، واختلاف الأشجار والزروع والنباتات، ففي كل ذلك دلالات بينة وبراهين واضحة على أنه سبحانه وتعالى هو الخالق الحكيم والمدبر الخبير.
- تبيَّن لي ان هناك زراعة موسمية وغير موسمية، وهناك أرض خصبة وأرض ميتة غير صالحة للزراعة.
- استنتجت أن من أهداف الحرث والزرع لإخراج النبات، هو استخلاف الإنسان في الأرض والقيام بواجبه لإبقاء النوع البشري.
- حضَّت الآيات التي تتحدث عن الزرع والنبات على التمتع بزينة الحياة الدنيا وجعلت ذلك قربة إلى الله سبحانه وتعالى لبيان فضل الله على البشر.
- اعتبرَت الآيات القرآنية أن الاهتمام بالزرع والنبات عبادة لله سبحانه وتعالى وبيان لقدرته وحمته في الخلق.

- الآيات القرآنية التي تتحدث عن الزرع والنبات تنشط العقل لاكتشاف قوانين الله وسننه في الأرض والخلق.
- يُفهم من أن الآيات القرآنية بيَّنت أن الله سبحانه وتعالى هو الزارع الحقيقي، وأن الزرع لا ينبت إلا بإذنه ومشيئته.
- تبيَّن لي ان هناك عوامل عدة لتخريب الزرع والنبات، منها الإفساد في الأرض والرياح وكذلك المعاصي وظلم النفس.
- إن من عظيم آيات الله عز وجل فيما خلق من النبات أنه سبحانه وتعالى ينبت ذلك النبات من أرض هامدة ميَّتة لا حياة فيها ينزل عليها الماء من السماء؛ فتهتز وتربو، ويخرج سبحانه منها أصناف النبات وأنواع الأشجار.

فهرس المصادر والمراجع

- إيجاز البيان عن معاني القرآن، المؤلف: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي
- بينات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته، المؤلف: عبد المجيد بن عزيز الزندانين الناشر: دار الإيمان – القاهرة
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»
- المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)

- تفسير القرآن العزيز، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت.، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- تفسير الماوردي النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعين إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى.
- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري
- الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

- دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، لناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.
- شرح كفاية المتحفظ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، المؤلف: محمد بن الطيب الفاسي، المحقق: الدكتور/ علي حسين البواب، أصل الكتاب: جزء من رسالة دكتوراه: في فقه اللغة من كلية دار العلوم بالقاهرة، الناشر: دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧
- صحيح البخاري، الكتاب: الجامع الصحيح المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة

الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، الأستاذ المشارك، العام الجامعي: ١٤٣٢ هـ / ١٤٣٣ هـ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ..

- فتح الرحمن في تفسير القرآن، المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)ن اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّةِ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت.
- القرآن والعلم د/ أحمد محمود سليمان: ص ٦٦– ٦٧، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤.
- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ..
- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ..
- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة

العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- مختصر تفسير ابن كثير، المؤلف: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١م
- معالم التنزيل، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]ن المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)ن المحقق: عبد الجليل عبده شلبين الناشر: عالم الكتب – بيروت.
- معجزة النبات، المؤلف: هارون يحيى، مراجعة: اورخان محمد علي.
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- مملكة النبات كما يعرضها القرآن ويصفها، المؤلف: حامد صادق قنيبي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الحادية عشر – العدد الثالث – ربيع الأول ١٣٩٩هـ.
- موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، المؤلف: ياسر عبد الرحمن، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

- موسوعة فقه القلوب، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

مقدمة ١٦٣٥

أسباب اختيار الموضوع: ١٦٣٧

أهمية البحث ١٦٣٧

حدود البحث ١٦٣٧

أهداف البحث ١٦٣٨

إشكاليات البحث.....١٦٣٨

الدراسات السابقة ١٦٣٨

منهج البحث ١٦٣٩

خطــة البحــث.....١٦٤٠

الفصل الأول: التعريف بالنبات والزرع ١٦٤٢

المبحث الأول: النبات في اللغة والاصطلاح ١٦٤٢

المبحث الثاني: بدائع القدرة الإلهية في خلق النبات.....١٦٥٢

الفصل الثالث: خلق النبات ١٦٥٧

المبحث الأول: كيفية خلق النبات.....١٦٥٧

المبحث الثاني: الاهتمام بالزراعة وبيان أهميتها في الحياة.....١٦٦٢

الفصل الرابع: عجائب الحياة في النبات ١٦٦٣

المبحث الأول: تنفس النبات.....١٦٦٤

المبحث الثاني: إنبات النبات:.....١٦٦٥

الفصل الخامس: أقسام الزرع بحسب المكان والزمان ١٦٦٨

المبحث الأول: الزراعة الموسمية وغير الموسمية: ١٦٦٨

المبحث الثاني: الأرض الخصبة والأرض الميتة.....١٦٧٢

المبحث الثالث: إظهار قدرة الله تعالى وحكمته في الزرع والنبات.....١٦٧٦

المبحث الرابع: الاهتمام بالنبات وبيان أهميته في الحياة.....١٦٨٠

الخاتمة ١٦٨١

فهرس المصادر والمراجع.....١٦٨٣

فهرس الموضوعات.....١٦٩٠